وهذا الأصل عند المعتزلة يوجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على كل المسلمين حسب استطاعتهم .. ولئن كان المعتزلة جعلوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من ثوابت أصولهم .. فإننا نقول : إن قضية الأمر والنهى من صميم مبادئ الإسلام وأسسه الثابته ، فهو أحد عناصر الخيرية لهذه الامة " كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ "(١) .

ودعا إليه القرآن الكريم وأمر به قال تعالى " وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " (٢)

" وقد اجمعت المعتزلة – إلا الأصم على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مع الإمكان والقدرة ، باللسان أو اليد والسيف ، كيف قدروا على ذلك " (٣)

يقول القاضى عبد الجبار : إن الواجب علينا النصيحة فى الدين بأن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر على شرط الطاعة (٤)

وهذا الأصل جعل المعتزلة يبذلون فى سبيل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى جهودا كبيرة . متخذين كافة الوسائل والأساليب ، انطلاقا من اعتقادهم " أنه لا فرق فى باب المناكير بين أن تكون من أفعال القلوب أو تكون من أفعال الجوارح فى أنه يجب النهى عنها إذ النهى عنها واجب لقبحها ، والقبح يعمها ، وهو ما يقتضى وجوب النهى عن

---

(١) سورة ال عمران : آية رقم : ١١٠ .

(٢) سورة ال عمران : اية رقم : ١٠٤

(٣) مقالات الإسلاميين : ٣٣٧/١ .

(٤) القاض عبد الجبار : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة : ١٣٩

الاعتقادات الفاسدة التى يروج لها بعض أصحابها ، ويبذلون جهدا فى الدعوة إليها " (١) ومؤسس المعتزلة – واصل بن عطاء – كان له فى هذا الميدان باع طويل حيث أعد عددا من الدعاة البارعين أرسل بهم إلى أقطار مختلفة .

وهذا النشاط الدعوى الذى قام به واصل ومن معه صوره صفوان الأنصارى بقوله :

رجال دعاة لا يفل عزيمهم
تهكم جبار ولا كيد ماكر
إذا قال مُروا فى الشتاء تطاوعوا
وإن كان صيفاً لم يخف شهرنا حر
بهجرة أو طان وبذل وكلفة
وشدة أخطار وكد المسافر

وهذا الأصل فى الدعوة اتبعها عدد من المعتزلة .. وكان من أبرزهم أبو الهذيل العلاف الذى كان يقوم برحلات مختلفة من أجل الدعوة وقد قيل إنه أسلم على يديه عدد كبير (٢) .

وإذا كان للمعتزلة هذا الجهد فى الدعوة فقد كانوا يقومون به وفق مذهبهم وعلى طريقتهم .. بل إنهم اعتبروا الإقناع بالاعتزال جزاء أساسيا من الدعوة التى يقومون بها .. الأمر الذى جعل مذهبهم يذيع وينتشر فى كثير من المناطق حتى أصبح يسيطر عليها الاعتزال .

وحسبنا ما ذكره أبو القاسم البلخى أن كثيرا من الكور التى غلب عليها الاعتزال وهى منتشرة فى أذربيجان وطنجة والبيضاء التى يقال إن فيها مائة ألف يحملون السلاح يقال لهم الواصلية (٣) نسبة إلى واصل بن عطاء .

---

(١) انظر شرح الأصول الخمسة : للقاضى عبد الجبار : ٧٤٦ .

(٢) مراجع طبقات المعتزلة وفضل الاعتزال : ٢٥٥ .

(٣) أبو القاسم البلخى : فى ذكر المعتزلة عن مقالات الإسلاميين ، ضمن طبقات المعتزلة : ١٠٩ .

وسلكوا فى هذا طرقا شتى كتأليف الكتب وكتابة الرسائل واستخدموا سلطانهم لفرض آرائهم المخالفة – خاصة قضية خلق القرآن – حتى إنهم أقاموا المحاكم لكل من يناظرهم أو يخالفهم الرأى .. لاعتقادهم أنهم يدافعون عن الحقيقة بل استخدموا سلطتهم الأدبية وغيرها في مقارنة المون والفساد حتى وصل الأمر إلى التهديد بالقتل .

فقد كان للمعتزلة الفضل فى نشر الإسلام فى البلاد المفتوحة . وكان المسلمون فى – فارس – على سبيل المثال – يقيمون المناظرات بينهم وبين أصحاب البلاد المفتوحة المجوس . وكان المسلمون فى كل مناظرة يخسرون ،لأنهم ما كانوا يعرفون فن الجدل . بل كانوا يناظرون الآخرين بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية . وطبيعى أن الآخرين لا يؤمنون بها .. أما الفرس فكانوا على علم باصول الجدل والمناظرة ، ولديهم فلسفات قديمة ولذلك كانوا يتغلبون .

حينذاك انتدب واصل بن عطاء – رحمه الله – عددا من تلامذته الذين يثق بدينهم وقدرتهم وكلفهم بدراسة فلسفة المجوس وديانتهم ثم فلسفاتهم ، ثم أرسلهم إلى فارس فانتشروا فيها يناظرون المجوس ويفحمونهم ، وقد دخل على أيديهم جمهرة أهل فارس إلى الإسلام .

وليس صحيحا أنهم كانوا يدعون إلى مذهبهم ، بل كانوا يدعون إلى الإسلام بصورة عامة ، أما الدعوة إلى مذهبهم فكانت لدى المسلمين المتعمقين . ونحن ما يجب أن ننكر فضلا لأحد ولو كان صغيرا ، فإن الله تعالى – يقول : (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ)(١) .

---

(١) سورة الزلزلة : اية رقم : ٧ .

أضواء على موقفهم من السنة النبوية

يتجلى موقف المعتزلة من السنة المطهرة من خلال مبادئهم التى صاغوها كأساس لمذهبهم – فكل ما يتعارض مع ما أسسوا له وآمنوا به يقفون منه موقف التأويل أو الرد .

فهم لا ينكرونها جملة واحدة بل يؤولونها تارة ، ويرفضونها تارة أخرى ، وبخاصة إذ كانت تتعلق بالعقائد . وقد كان موقفهم من السنة بين أمرين :

الأول : إن كانت صحيحة أخذوا بها ، لا لذاتها ، بل لأنها تتفق مع مبادئهم ، وإن كانت مخالفة لمبادئهم أولوها .

الثانى : أن أحاديث الآحاد لا يؤخذ بها فى العقائد لأن حديث الآحاد ظنى الثبوت عندهم ، والعقائد لا تبنى إلا على اليقين ، فإذا جاءت مخالفة لمبادئهم ردت ، وحكم بأن النبى لم يقلها ، إما لسهو الراوى ، أو لخطئة او نسيانه .. الخ ونسبة الخطأ أو النسيان للراوى ايسر من نسبة الكذب الى النبى وهذا الموقف الاعتزالى نتيجة طبيعية وحتمية لموقفهم من العقل .

وإننا لا ننكر قيمة العقل ومكانته فى الفكر للوصول إلى الحقائق.. لكن ! أن يكون العقل هو الاساس الذى تبنى عليه الأحكام فهذا هو عين الشطط والغلو " إن العقل يهتدى بالشرع .. والشرع وإعمال العقل لا يتنافى ابدا مع ما قرره القرآن والسنة .. بل إن آيات القرآن الكريم تدعونا إلى إعمال العقل ولكن العقل له حدود يقف عندها.

وعلماء السنة النبوية استخدموا العقل لتمحيص الأحاديث ونقد الرواة ولعل من المفيد هنا أن نعطى لمحة موجزة عن مكانة العقل عند المعتزلة "

يقول القاضى عبد الجبار فى ثنايا كلامه عن الأدلة وتصنيفها : أولها العقل به يميز بين الحسن والقبيح ، وبه يعرف ان الكتاب حجة ، وكذلك السنة والإجماع .. وربما تعجب بعضهم من هذا الترتيب ، فيظن أن الأدلة هى الكتاب والسنة والإجماع فقط أو يظن أن العقل إذا كان يدل على أمور فهو مؤخر ، وليس الأمر كذلك لأن الله تعالى لم يخاطب إلا أهل العقل (١) .

ومن هنا فهم يحكمون العقل ويقدمونه على النص من القرآن والسنة .

لقد بلغ الأمر بأحدهم – وهو إبراهيم النظام – إلى القول "بأن جهة حجة العقل قد تنسخ الأخبار " (٢) ويعنى بالأخبار ما جاء فى الكتاب والسنة فحجة العقل مقدمة بل ناسخة لحجة النص .. أى عقل هذا الذى ينسخ خبرا صحيحا صريحا من سنة الرسول الكريم (ﷺ) فمن الثابت أن النص لا ينسخ إلا بمثله " ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها " البقرة ..

لكن المعتزلة توغل فى تقديس العقل .. ويقيمونه حكما لا يزيله حكم .. بل جعلوا معرفة الله تعالى واجبة بالعقل .

"معرفة الله تعالى بجميع أحكامه وصفاته قبل ورود الشرع"(٣) فاصول المعرفة عندهم واجبة ، ويمكن إدراكها بالعقل قبل ورود السمع .

---

(١) راجع فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة : ١٣٩

(٢) ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث : ٤٣ .

(٣) الملل والنحل : ١ / ٧٠ .

قال ثمامة بن أشرس إن من لم يضطر إليها فهو سخرة للعباد كسائر الحيوانات غير المكلفة (١) .

وهذا المسلك الذى سلكوه فى تمجيد العقل وتقديمه على الكتاب والسنة كان موقع استحسان لدى الكثير من مفكرى الغرب فأغدقوا عليهم الألقاب وأحاطوهم بعبارات المدح والثناء .

- فهم المفكرون الأحرار فى الإسلام كما اطلق عليهم " شتبنز "

- وهم دعاة الحرية الفكرية والاستنارة كما أطلق عليهم " آدم متز " و " هاملتون " .

- وهم الذين وسعوا معين المعرفة الدينية بأن أدخلوا فيها عنصرا مهما قيما وهو العقل الذى كان حتى ذلك الحين مبعدا بشدة عن هذه الناحية هكذا قال " جولدز يهر " (٢) .

هؤلاء هم المعتزلة فى موقفهم من العقل . يتضح بما يؤمنون به ويذعنون له . وبعد هذه اللمحة اليسيرة عن موقفهم من العقل نبين ما قصدنا الحديث عنه فى موقفهم من السنة النبوية المطهرة

أولا : " موقف المعتزلة من الصحابة "

موقف المعتزلة من الخلفاء خاصة والصحابة عامة ينم الاستغراب على جراتهم وتطاولهم . يُبين عن هذا النظّام بقوله : "إن الذين حكموا بالرأى من الصحابة إما أن يكونوا قد ظنوا أن ذلك جائز لهم وجهلوا تحريم الحكم بالرأى فى الفتيا عليهم ، وإما أنهم أرادوا أن

---

(١) راجع فضل الاعتزال لعبد الجبار : ٧٣ .

(٢) يراجع فى ذلك : أدب المعتزلة : لعبد الحكيم بليع : ١٧٢ .

يُذكروا بالخلاف ، وأن يكونوا رؤساء في المذاهب ، فاختاروا لذلك الحكم بالرأى .. وبذلك نسبهم – أى النظام – كما يقول البغدادى إلى إيثار الهوى على الدين (١) .

وكثير من الصحابة لم يسلموا من قدح المعتزلة والتطاول عليهم، والصاق التهم بهم .. لقد زعم النظام أن فاروق الأمة عمر بن الخطاب رضى الله عنه شك فى دينه يوم الحديبية وذلك حين سأل الرسول (ﷺ) ألسنا على الحق ؟ أليسوا على الباطل ؟ فقال الرسول نعم قال عمر فلم نعط الدنية فى ديننا ؟ "

هذه الغيرة من سيدنا عمر على الدين ورغبته فى نصرة الحق يعتبرها النظام من التردد والشك (٢) والموقف العام للمعتزلة من الصحابة الكرام يتمثل فى أمرين :

١ – الشكوك فى العدالة

٢ – والاتهام بالفسق

إن الصحابة هم خير الناس على الإطلاق بعد رسولنا الكريم (ﷺ) والنيل منهم أو التطاول عليهم من علامات النفاق " كيف يتطاول عليهم وقد شهد لهم خير الخلق بالخيرية المطلقة .

روى البخارى فى باب فضائل الصحابة عن عمران بن حصين ان النبى (ﷺ) قال : " خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين

---

(١) الفرق بين الفرق : ١٤٨، ١٤٩

(٢) المصدر السابق / ١٤٩ .

* الأمثلة على ذلك كثيرة ذكرها ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث .. ، والاشعرى فى مقالات الإسلاميين ٢ / ١٤٥ .

يلونهم"(١) وفى الصحيحين (٢) يقول (ﷺ) " لا تسبوا أصحابى ، فلو أن احدكم أنفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه " .

ويذكر الإمام الغزالى هذه المكانة السامقة والمنزلة الرفيعة لذوى الفضل والصفوة البررة بقوله " فأى تعديل أصح من تعديل علام الغيوب (٣) سبحانه وتعديل رسول الله (ﷺ) كيف ولو لم يرو الثناء لكان فيما اشتهر وتوافر عن حالهم فى الهجرة والجهاد وبذل المهج والأموال وقتل الاباء والاهل فىموالاة رسول الله (ﷺ) ونصرته كفاية فى القطع بعدم التهم " (٤) والتجريح لهم .

وعلماء الأمة مجمعون على عدالة الصحابة الكرام .. حتى عدوا إنقاص قدرهم والتطاول عليهم من علامات الزندقة والمروق عن الإسلام حتى قالوا " إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله (ﷺ) فاعلم انه زنديق "

ثالثا : " موقف المعتزلة من الحديث "

السنة المطهرة هى المصدر الثانى للتشريع باتفاق الأمة وإجماعها ، لكن المعتزلة درجوا على المخالفة والمنازعة ، وترك الإجماع المتفق عليه فأبو الهذيل يرى أن الحجة لا تقوم فيما غاب عن الحواس من ايات الأنبياء – عليهم السلام – وفيما سواها ، إلا بخبر عشرين فيهم واحد من أهل الجنة أو اكثر ، ولا تخل الأرض عن جماعة هم أولياء الله معصومو . لا يكذبون ، ولا يرتكبون الكبائر فهم الحجة ، لا المتواتر – يعنى من الحديث

---

(١) صحيح البخارى ٨/ ٥ .

(٢) صحيح البخارى ٨ / ٣٣ وصحيح مسلم ٤ / ١٩٦٧ .

(٣) إشارة إلى الآية الكريمة فى سورة الفتح " محمد رسول الله والذين معه .. الآية

(٤) انظر المستصفى : ١/ ٦٦٤ .

إذ يجوز أن يكذب جماعة ممن لا يحصون عددا إذا لم يكونوا أولياء الله ولم يكن فيهم أحد معصوم " (١)

وإذا سلمنا مع أبى الهزيل المعتزلى جدلا بعدم ارتكاب المعاصى والكذب فهل نسلم معه بالعصمة ؟؟

إن ما ذكره غير مسلم بالمرة فمن من الناس لا يخطئ أبدا اين نحن من قول النبى الكريم (ﷺ) كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون"، ومن من الناس يصل إلى درجة العصمة ؟؟

إن العصمة لا تكون إلا للصفوة البررة من أنبياء الله ورسله – صلوات الله عليهم جميعا إن النظام يذهب إلى جواز وقوع الكذب فى الخبر المتواتر رغم كثرة ناقليه .. وذلك بناء على معتقده من أن الحجة العقلية جديرة وقادرة على نسخ الاخبار (٢) ولا غرابة فى ذلك فهو ينكر حجية الإجماع . وهو بذلك :

١ – يقدح فى المتواتر من الأخبار

٢ – ويقدح فى حجية الاجماع

٣ – ويقول بالعصمة لغير الأنبياء .

هذا بعض ما ذهب إليه أبو الهذيل العلاف مما يثبت شططه فى أمور ، وزندقته فى أمور ، ورغم أنه محسوب على المعتزلة إلا أن الانصاف يوجب علينا ألا نحمل آراءه الشاذة هذه على الطائفة ، فإن جمهرة المعتزلة يرفضون ما قال به " العلاف " ويبرءون منه ، وذلك واضح من

(١) الفرق بين الفرق : ١٢٨ ، والملل والنحل : ١ / ٥٣ .

(٢) انظر الفرق بين الفروق : ١٤٣ وتأويل مختلف الحديث : لابن قتيبة ٤٣ .

آرائهم التى تخالف ما ذهب إليه وقد كانت بداية انحرافه تهجمه على الصحابة – رضوان الله عليهم – وانتقاصه من أقدارهم ، وطعنه فى عدالتهم ، وهم أفضل الأمة بعد رسول الله (ﷺ) والذين مات رسول الله وهو عنهم راض ، وعن عدالتهم مدافع ، لذلك كانت آراؤه وقفا عليه ، يحمل وحده وزرها ووزر من تابعه فيها ، وهم – ولله الحمد – قلة على شاكلة صاحبهم .

* تشكيك المعتزلة فى السنة :

إن ما يعارض أصولهم من السنة يرد وينكر أو يؤول "فالقاضى عبد الجبار يرد بعض الأحاديث الصحيحة وهو يقول عنها : " مثل هذه الاخبار لا يجوز التصديق بها إذا كانت مخالفة للأدلة القطعية " (١)

بل إنه يصف من يخالف المعتزلة بأنهم لا يميزون ما يقولون . وأن أصحابه هم المتمسكون بالسنة والجماعة ، دون هؤلاء المشنعين عليهم(٢) ومن صور الشطط والإنكار ما يلى :

١ – موقفهم من أحاديث الشفاعة :

الشفاعة فى نظر المعتزلة تتنافى مع مبدأ – الوعد والوعيد – ومن هنا ينكرون شفاعة الرسول (ﷺ) لأهل الكبائر من الأمة الإسلامية (٣) ، والقاضى عبد الجبار يقر الشفاعة لكن يجعلها خاصة بأهل الثواب دون أهل العقاب ، ولأولياء الله دون أعدائه .. وشفاعة الرسول (ﷺ) لهؤلاء فى أن يزيدهم من الفضل والتعظيم فى الجنة .

---

(١) فضل الاعتزال : ١٥١ .

(٢) راجع المصدر السابق : ٨٦ .

(٣) مقالات الإسلاميين : ٢ / ١٦٦ .

ويستدل المانعون بقوله تعالى " مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ " (١)

فأهل النار يستحقون اللعن والغضب والسخط فكيف يجوز للرسول (ﷺ) أن يشفع لهم ، ومن حق الشافع أن يكون محبا لمن يشفع له راضٍ عنه وهذا يوجب إن كان عليه الصلاة والسلام يشفع لهم أن يكون راضيا عمن سخط عليه ولعنه ، وذلك لا يصح (٢) .

وهم بهذا الموقف ينكرون كل ما يتعلق بالشفاعة من احاديث صحيحة . مثل حديث أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى (ﷺ) قال " شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى " وحديث " أنا أول شافع وأول مشفع " وقوله (ﷺ) فى شأنها " أنا لها انا لها .. فيقال لى : اشفع تشفع " (٣) .

وعلماء السنة متفقون على تواتر أحاديث الشفاعة ، وربما يعترض البعض بأن الشفاعة للرسول الكريم (ﷺ) لم ترد صراحة فى القرآن الكريم – كما جاءت فى السنة – لكن هذا لا يقدح فى ثبوتها فكثير من الأحكام جاء ذكرها صراحة فى السنة المطهرة ولم تذكر فى القران الكريم .

يذكر البيهقى فى دلائل النبوة ، قيل لعمران بن حصين وهو جالس فى المسجد ، إنكم لتحدثوننا بأحاديث لم نجد لها اصلا فى القران ؟ فغضب عمران ، وقال لسائله : اقرأت القران ؟ قال : نعم ، قال : فهل

---

(١) سورة غافر : اية رقم : ١٨ .

(٢) فضل الاعتزال : ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(٣) أحاديث الشفاعة ثابتة فى الصحيحين وغيرهما : صحيح البخارى ٥/٨ ، وصحيح مسلم ١ /١٩٥ وسنن ابن ماجه ١٤٤١/١ ، وسنن النسائى ١٧٢/١ ، وغير من كتب السنة

وجدت صلاة العشاء أربعا والمغرب ثلاثا ؟ قال لا فقرأ قول الله تعالى " وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا"(١) بل هناك من الصحابة من استنبط الشفاعة لسيدنا محمد (ﷺ) يوم القيامة من القرآن الكريم .

يقول على بن ابى طالب – رضى الله عنه – كما ذكر السيوطى : " إنكم يا معشر أهل العراق تقولون أرجى اية فى القرآن الكريم " قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله " .. لكنا أهل البيت نقول : إن أرجى اية فى كتاب الله تعالى " ولسوف يعطيك ربك فترضى " وهى الشفاعة (٢) .

والمعتزلة ينطلقون فى إنكارهم الشفاعة من إيمانهم بأحد أصولهم وهو – الوعد الوعيد –

وعد الله للأتقياء المطيعين ، ووعيده للعصاة المذنبين وقد سبقت كلمة الله بذلك ولا مبدل لكلماته ، فإذا خرج المؤمن من الدنيا عن طاعة وتوبة استحق الثواب ، وإذا خرج على كبيرة ولم يتب خلد فى النار .. إذ لا يصح خروجهم منها لأنهم من أهل العقاب ، ولا يجوز مع ذلك أن يكونوا من أهل الثواب ، لأن ذلك كالمتضاد (٣)

والمعتزلة وإن خلدوا أهل الكبائر فى النار إلا أنهم جعلوا عذابهم أخف من عذاب الكافرين ..

وإزاء هذا الموقف الرافض للشفاعة لأهل الكبائر من القوم نقول : ثبتت الشفاعة بمثل قول الله تعالى : "مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ" (٤) .

---

(١) سورة الحشر :اية رقم : ٧ – وانظر دلائل النبوة ٣٥/١ .

(٢) الاحكام : للإمام السيوطى ١٦١/٢ .

(٣) القاضى عبد الجبار : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة : ٢٠٨ .

(٤) سورة البقرة : اية رقم : ٢٥٥ .

وقوله سبحانه : (يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً) (١) ، وغير ذلك من الآيات والأحاديث التى أشرنا إليها فى الصحيحين والسنن .. والشفاعة أثبتها أهل السنة من سلف هذه الأمة وهى :

١ – الخلاص من هول الموقف وهى خاصة بسيدنا محمد (ﷺ) .

٢ – الشفاعة فى قوم يدخلون الجنة بغير حساب .

٣ – الشفاعة فى رفع الدرجات ،وهى خاصة برسول الله (ﷺ) كذلك

٤ – الشفاعة فى إخراج قوم عصاة من النار أدخلوها بذنوبهم (٢)

وبهذا يتبين موقف المعتزلة من الشفاعة خاصة الشفاعة لأصحاب الذنوب الكبائر من الأمة .

٢ – موقفهم من معجزات الرسول (ﷺ)

يتضح موقف المعتزلة من المعجزات من خلال تصورهم لمقام النبوة العظيم فهناك خلاف بينهم حول النبوة .. هل النبوة جزاء وثواب أولا ؟ فيرى بعضهم أنها ثواب وجزاء على عمل صالح عمله النبى (ﷺ) فاستحق ان يجزيه الله بالنبوة ... ومنهم من يرى أنها ليست بجزاء ولا بثواب " ومن قال بالأول " عباد بن سليمان " ..وأبو على الجبائى " (٣)

---

(١) سورة طه : اية رقم : ١٠٩ .

(٢) يراجع فى ذلك فتح البارى : لابن حجر ٢٢٧/١٧ .

(٣) انظر مقالات الإسلاميين ١٢٧/٢ ، ٣٢٦ .

ومن ثم فهي في نظر هؤلاء ليست اجتباء واصطفاء من الله سبحانه لرسله والنفي للاصطفاء كلام قديم قال به بعض الفلاسفة حيث جعلوا النبوة درجة من المعرفة وسمو الروح يصل إليه المجتهدون من خلال رياضة روحية ونفسية خاصة .

وبذلك افتقدت النبوة – عند هؤلاء وأمثالهم – الجلال والقدسية .. وهذه الدرجة في نظرهم من الممكن ان يصل إليها أى إنسان .

يذكر الذهبي (١) أن واصل بن عطاء خطب فأجاد ، فقال عمرو ابن عبيد وكان حاضرا : ترون لو كان ملكا من الملائكة أو نبيا من الأنبياء يزيد على هذا " ؟!

ومن هذا المنطلق يعتبر الكثير من المعتزلة إقامة الحجة بالعقل وليس بالنبوة حتى ان من لم يبلغه خبر الرسول فهو محجوج أى تقوم عليه الحجة لأنه قصر في إعمال عقله للوصول إلى الحقيقة .

بل هناك من المعتزلة من نفى أن تكون المعجزات دليل صدق الرسول (ﷺ) في دعوى الرسالة فانفلاق البحر وقلب العصا حية وابطال السحر – لسيدنا موسى عليه السلام . وانشقاق القمر لسيدنا محمد (ﷺ) وغيرها لا تدل في زعمهم على صدق الرسالة "(٢)

والنظام أنكر ما جاء من معجزات نبينا الصادق المصدوق (ﷺ) كانشقاق القمر وتسبيح الحصا في يديه ونبع الماء بين أصابعه الشريفة (ﷺ) (٣) ، وبدع به التطاول والافتراء أن رد حديث ابن مسعود في انشقاق القمر وتعرى عن كل أدب نحو الصحابة الكرام.. يقول في جرأة

---

(١) الفرق بين الفرق : ١٦٢ .

(٢) مقدمة إعجاز القران : للباقلاني : ٨ .

(٣) انظر الفرق بين الفرق : ١٣٢ .

عجيبة وافتراء غريب كما يذكر ابن قتيبة والبغدادى " وهذا من الكذب الذى لا خفاء فيه لان الله تعالى لا يشق القمر له وحده ولا لاخر معه ، وإنما يشقه ليكون اية للعالمين .. فكيف لم يعرف بذلك العامة ، ولم يؤرخ الناس بذلك العام ، ولم يذكره شاعر ولم يسلم عنده كافر ، ولم يحتج به مسلم على ملحد"(١) وحديث انشقاق القمر ثابت فى الصحيح عن ابن مسعود وابن عمرو ابن عباس وانس بن مالك .

فى صحيح مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال"انشق القمر على عهد رسول الله (ﷺ) بشقين فقال رسول الله(ﷺ) اشهدوا"(٢) .

قال القاضى عياض : انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا (ﷺ) وقد رواها عدة من الصحابة – رضى الله عنهم – مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها ، قال الزجاج : وقد أنكرها بعض المبتدعة مخالفا الملة ، وذلك لما أعمى الله قلبه ، ولا إنكار للعقل فيها ، لأن القمر مخلوق الله تعالى يفعل فيه ما يشاء ، كما يفنيه ويكوره فى اخر الامر " (٣) .

وبلغت المناواة والمخالفة إلى إنكار إعجاز القرآن قال النظام "إن نظم القرآن وحسن تاليف كلماته ليس معجزة للنبى (ﷺ) ولا دلالة فيه على صدقه فى دعواه النبوة ، ذلك أن القرآن كتاب كسائر الكتب المنزلة لبيان الأحكام من الحلال والحرام ، ووجه الدلالة فى هذا الكتاب على صدق الرسول (ﷺ) إنما هو ما فيه من الإخبار عن الغيوب .. فأما نظم القرآن وحسن تأليف آياته ، فإن العباد قادرون على مثله ، وعلى ما هو

---

(١) تاويل مختلف الحديث : ١١ ، والفرق بين الفرق : ٢١٩ .

(٢) صحيح مسلم : ٢١٥٨/٤ .

(٣) صحيح مسلم : شرح النووى : ٢١٥٨/٤ .

أحسن منه فى النظم والتاليف ولم يعارضه العرب لان الله تعالى صرفهم عن ذلك وسلب علومهم به وهو ما عرف عندهم بالصرفة (١)

هذا موقف المعتزلة من المعجزات .. موقف نبئ عن مخالفة صريحة لما اجمعت عليه الأمة ، وهذا ما درجوا عليه فى ردهم لصحيح السنة . وهذا قليل من كثير مما خالف فيه بعض رجالات الاعتزال ما اجمعت عليه الأمة المسلمة ، لكن يخفف من حمل هذه الآراء على الاعتزال أن هذه الآراء ليست لجمهرة المعتزلة ، ولكنها كما سبق وبينا – هى للشواذ من مفكريهم الذين تأثروا بالفكر اليونانى وغيره . وهؤلاء قلة وإن علا صوتهم واشتهروا . ومن عجب الأمور أن شهرتهم كانت فى بعض جوانبها بسبب شذوذ فكرهم ، وفسوق عقيدتهم . فليس من شك فى انهم اشتهروا واشتهرت آراؤهم بسبب خروجها عن الإسلام .. وأمثال هؤلاء مما جاءوا به من فكر شاذ وآراء فاسدة حملهم على المعتزلة ظلم ، لكن الظلم الأكبر هو جعل آرائهم الشاذة مقياساً لعقيدة المعتزلة بكل من فيها من رجال لم يقولوا ولم يقبلوا ما جاء به هؤلاء .

والدليل على شذوذ هؤلاء عن المعتزلة أن أفكارهم لم تسند إلى الاعتزال جملة ، بل اسندت إلى اصحابها وعرفت بهم ، مثل القول بأن القران معجز " بالصرفة " فهذا رأى قال به النظام . وتبعه بعض من فاسدى الفكر من المعتزلة وغيرهم وهذا الراى ظل منسوبا إلى النظام وحده ، ومعروفا به ، ومذهباً ينسب إليه وحده .

ومثل ذلك يقال فيما جاء به عباد بن سليمان ، والفوطى ، وغيرهما .فكلام هؤلاء لا يحمل على المعتزلة أو الاعتزال جملة .

لكن الاعتزال إن برئ من ذلك فإنه لا يظل ناصع الصفحة ، لأنه يحمل وزر اتجاهه العقلانى ، وتوجهه الذى يقوم على إعلاء العقل وتقديمه على الوحى مما كان له الأثر المباشر فى ظهور هؤلاء الشواذ .

---

(١) انظر فضل الاعتزال : ٧٠ والفرق للبغدادى : ١٩٣ .

٣ – موقفهم من رؤية الله تعالى يوم القيامة :

أجمع المعتزلة على أن الله تعالى ليس بجسم ولا عرض ، وأنه لا يدرك بالحواس فى الدنيا ولا فى الآخرة .. حتى إن بعضهم يكفر من يقول برؤية الله سبحانه " كما ترى المرئيات بالمقابلة أو المحاذاة أو فى مكان حالا فيه دون مكان " (١) . لكنهم يرون أن الرؤية تكون بالقلوب . ومفادها عندهم أن العلم بالقلب وهذا ما يراه أبو الهذيل وكثير من المعتزلة معه .

وطائفة منهم يرون الرؤية بالعقل وهم الخابطية أتباع " أحمد بن خابط " والحدثية أتباع " الفضل الحدثى " .. فهؤلاء يقرون بالرؤية لكنهم جعلوها رؤية العقل الأول ،العقل الفعال .(٢)

وواضح من هذا الفهم للرؤية وكونها بالعقل تأثر المعتزلة بالفكر الفلسفى اليونانى .. فهذه الفكرة اليونانية تسربت إلى فكر المعتزلة حتى أصبحت ثابتة فى فكرهم. والمعتزلة فى نفيهم للرؤية يستدلون بأن كل شئ يرى بالعين يجب أن يكون فى مقابلة العين .. أى ينبغى أن يكون جسما يحتل حيزاً .. ويعلق على هذا الإمام القرطبى بقوله : اشترط النفاة فى الرؤية شروطا عقلية كالبنية المخصوصة ، والمقابلة ، وإيصال الأشعة وزوال الموانع كالبعد والحجب ، فى خبط لهم وتحكم " (٣)

ورد المعتزلة للأحاديث المثبتة للرؤية بحجة أنها أحاديث آحاد كما يقول القاضى عبد الجبار (وإنما يقبل خبر الواحد فيما طريقه العمل)(٤)

---

(١) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة : ٦٣ .

(٢) انظر مقالات الإسلاميين : ٢٨٣/١ ، والملل والنحل : ٦٣/١ .

(٣) ابن حجر فتح البارى : ١٥٩/١٧ .

(٤) فضل الاعتزال : ١٥٨ .

ويحاول – أى القاضى عبد الجبار – اختلاق بعض الآثار التى تتفق ومذهب الاعتزال فى نفى الرؤية ..

ومما ذكره خبرا ونسبه لابن عباس رواية عن حدة الحرورى – زعيم الحرورية – ..وآخر ينسبه إلى السيدة عائشة رضى الله عنها ما يأتى :

١ – روى أن نجدة الحرورى سأل ابن عباس فقال : كيف معرفتك بربك ؟ فقال ابن عباس : " أعرفه بما عرفنى به نفسه من غير رؤية ، وأصفه بما وصف به نفسه من غير صورة ، لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالقياس ، معروف بغير تشبيه ".

٢ – ومما نسبه للسيدة عائشة رضى الله عنها أنها سمعت بأن القوم يقولون بأن الله يرى ، فقالت : لقد قف شعرى مما قلتموه ، ودفعت ذلك وردته بقوله تعالى : " لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار " (١)

" أما موقفهم من الآيات القرآنية الكريمة المثبتة لرؤية الله سبحانه وتعالى فإنهم يقفون من هذه الآيات موقفا متعسفا .. تارة بالتأويل وأخرى بالفهم السقيم .

فمثلا فى قول الله عز وجل " وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ " (٢) نجد الزمخشرى يفسرها تفسيرا عجيبا فالمراد بقوله "ناظرة " يعنى منتظرة فالمؤمنون وهم الذين لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون ، ينتظرون ذلك اليوم .. ويذكر أن تقديم المفعول به " إلى ربها " يفيد

---

(١) المصدر السابق : ١٥٩ .

(٢) سورة القيامة : آية رقم : ٢٢ .

الاختصاص بمعنى أن هذه الوجوه تنظر إلى ثواب ربها خاصة لاتنظر إلى غيره ..

ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت عدد ، فى محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم .. فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظورا إليه محال ، فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص.. والذى يصح معه أن يكون هو انتظار ثوابه وما يفعل بهم لقول الناس : أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بى ، تريد التوقع والرجاء ومنه قول القائل :

وإذا نظرت إليك من ملك
والبحر دونك زوتنى نعما

وسمعت سرورية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس ابوابهم ويأوون إلىمقاليهم (١) تقول : عينى نويظره إلى وإليكم – بقصد منتظرة – والمعنى أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم كما كانوا فى الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه (٢) وما ذهب إليه الزمخشرى من تأويل " هو نفس التاويل الذى يقول به أبو على الجبائى .. كما ذكره عنه القاضى عبد الجبار وهو يعيب على من يقولون بالرؤية للإلف والعادة وهم يحتجون بقوله تعالى " وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة " وهذا لا حجة لهم فيه لأن النظر ليس هو الرؤية فتحمل الآية على النظر إلى الثواب أوالانتظار ، كما روى عن بعض الصحابة (٣)

وهكذا ينسبون الرؤية – فى فهمهم . للإلف والعادة ويخرجون الآية الكريمة عن معناها الصحيح المراد به حقيقة الرؤية لزعمهم بأن القول بالرؤية يفيد التشبيه والتجسيم ، ويقيسون الغائب على الشاهد .

---

(١) نسبة إلى المقيل وهو الراحة وقت القيلولة فى الظهيرة .
(٢) الكشاف : ٤/١٩٢ .
(٣) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة : ١٥٨ .

وهناك خطأ لغوى فى هذا التأويل المتعسف وهو أن تأويلهم لناظرة "بمنتظرة " خطأ لأنه لا يتعدى بإلى .. ورحم الله الإمام الشافعى حين سئل عن هذه الآية فقال :

لماحجب الله قوما بالسخط ، دل على أن قوما يرونه بالرضا .

وساله تلميذه الربيع بن سليمان : أو تدين بهذا يا سيدى ؟ قال : رحمه الله " لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه فى المعاد لما عبده فى الدنيا"

ويقرر ابن تيمية هذا المعنى بقوله : " كل ما كان وجوده أكمل كان أحق بان يرى . والموجود الواجب الوجود أكمل الموجودات وجودا، وابعد الأشياء عن العدم ، فهو أحق بأن يرى ، وإنما لم نره فى الدنيا لعجز أبصارنا عن رؤيته لا لأجل امتناع رؤيته "(١) .

واشير ثانية إلى أن أحاديث الرؤية بلغت مبلغ التواتر وهى ثابتة فى الصحيحين والسنن .

فالامام البخارى فى كتاب التوحيد عقد لها بابا وترجم له تحت عنوان " باب قول الله تعالى " وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة " والإمام مسلم فى كتابه الإيمان عقد لها بابا وترجم له تحت عنوان "باب معرفة طريق الرؤية " وكذا ائمة السنن أبو داوود والنسائى والترمذى وابن ماجه .

لكن المعتزلة بهذا التاويل المتعسف لحقائق النصوص الثابتة يحجبون انفسهم عن خير كثير .. ويسيئون الفهم الصحيح .

---

(١) منهاج السنة النبوية : ٢٥٥/١ .

٤ – " موقف المعتزلة من مرتكبى الكبائر "

سبقت الإشارة إلى مبدأ المعتزلة " الوعد والوعيد " الوعد للمطيعين بالفوز والجنة ، والوعيد للعاصين بالخلود فى النار – والعياذ بالله .

وهذا عندهم مبنى على إيمانهم " بعدل الله " فالارتباط بين العدل الإلهى والوعد والوعيد يوجب ما آمنوا به واعتقدوا يقينه ، وموقف أهل الاعتزال من أصحاب الكبائر ما بين معتدل وغال ، فالكبيرة عند معتدليهم " كل ما أتى فيه الوعيد فهو كبيرة وكل ما لم يات فيه الوعيد فهو صغيرة .

والغلاة منهم جعلوا ارتكاب اى لون من الوان المعاصى والذنوب كبيرة شريطة أن يكون مرتكبها متعمدا (١) ومنهم من اشتد به الشطط والغلو فجعل صاحب الذنب صغيرا كان أو كبيرا فى عداد المشركين – أعاذنا الله – ومن هؤلاء الواصلية كما يذكر البغدادى " تزعم أن كل مرتكب للذنب صغيرا أو كبيرا مشرك بالله"(٢) وهذا إن صح عنهم كما يقول البغدادى فهو شرك عمل لا شرك كفر

وحين يرد على المعتزلة بايات المغفرة والتوبة كقوله تعالى : "إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " (٣)

وهى صريحة الدلالة فى المغفرة وفق المشيئة الإلهية .. نجدهم يفرون إلى التأويل المتكلف الذى يخرج الآية عن مفهومها الصحيح فالزمخشرى يطوع الآية لتوافق مذهب القوم بقوله :

---

(١) مقالات الإسلاميين : ٣٣٢/١ .

(٢) الفرق بين الفرق : ١١٧ .

(٣) سورة المائدة : اية رقم : ٣٤ .

" الوجه أن يكون الفعل المنفى لا يغفر " والمثبت " يغفر جميعا موجهين إلى " لمن يشاء " كأنه قيل : إن الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ، ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك ، على أن المراد بالأول من لم يتب وبالثانى من تاب .. ونظيره قولك : إن الأمير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء . تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستأهله ويبذل القنطار لمن يستأهله"(١)

وهو بهذا يسوى بين المسلم والمشرك فى وجوب التوبة حتى يطوع الآية لما يوافق المذهب .. والآية الكريمة واضحة فيمن لم يتب ولم يذكر فيها توبة .. فلذلك أطلق الله تعالى نفى مغفرة الشرك وأثبت مغفرة ما دونه مقرونة بمشيئة الله ، وهنا وجه ارتباط الآية بعقيدة أهل السنة .. كما أن الشرك غير مغفور – أبدا – وما دونه من الكبائر مغفور لمن يشاء الله أن يغفره له ، هذا مع عدم التوبة ، وأما مع التوبة فكلاهما مغفور (٢) .

وبعد تقرير أهل الاعتزال أن الله لا يغفر لمن خرج من الدنيا وهو عاص بدون توبة لأن هذا عندهم يتنافى مع العدل والوعد والوعيد .. ومع نظريتهم بوجوب الصلاح والأصلح ، جعلوا صاحب الكبيرة فى منزلة بين المنزلتين فى الدنيا لا هو مؤمن ولا هو كافر بل فاسق ، وفى الآخرة جعلوه مخلدا فى النار .

فأهل النار إذا دخلوها لا يصح أن يخرجوا منها ، لأن فى خروجهم من النار ثوابا ، فيصبح الواحد منهم من أهل الثواب ، ومن أهل العقاب معا ، وهذا كالمتضاد (٣) .

---

(١) الكسائى : ٥٣٢/١ .

(٢) انظر الانصاف على هامش الكشاف :١/ ٥٣٢ .

(٣) القاضى : فضل الاعتزال " ٢٠٩ .

ولقد ساق المعتزلة بعض الأدلة لتأييد مذهبهم فى وجوب العذاب وظاهرها يوحى بالخلود فى النار .. وتأولوها بما يوافق المذهب .

من ذلك ما جاء فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى ، أن رسول الله (ﷺ) قال : " من قتل نفسه بحديدة ، فحديدته فى يده يجأ بها نفسه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا (١) لكن العلماء لهم توجيهات لهذا الحديث .. نذكر منها ما أورده ابن حجر فى الفتح :

١ – أن الخلود المذكور فى الحديث إنما يصدق على من استحله ، فإنه يصير باستحلاله كافرا ، والكافر مخلد بلا ريب .

٢ – أن التخليد ورد مورد الزجر والتغليظ وأن حقيقته غير مراده (٢) أو المراد به المكث الطويل دون التأبيد فيها .

إذن الحجة داحضة ولا وجه لاحتجاجهم بالحديث .. لكن مع هذا يذكر القاضى عبد الجبار " أنه كما ثبت خلود أهل الكفر فى النار ثبت أيضا تخليد قاتل النفس والفار من الزحف وآكل مال اليتيم وغير ذلك"(٣) ونرد بأن كل ذلك لمستحله .. أى من يستحل قتل النفس او يستحل الموبقات ، فهذا استحل ما حرم الله عليه بدليل قطعى الثبوت والدلالة وعليه إجماع الأمة .

وعلماء السنة تصدوا لهذه الترهات والضلالات الفكرية مستدلين بما صح عن الصادق المعصوم (ﷺ) .. وهم مجمعون على أن المعاصى ليست موجبة للخلود فى النار .

---

(١) صحيح البخارى : ٤٦٩/٣ .

(٢) فتح البارى : ٤٧٠/٣ .

(٣) فضل الاعتزال : ٢٠٩ .

ففى صحيح البخارى من حديث أبى سعيد أن النبى (ﷺ) قال : " يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبه من خردل من إيمان ، فيخرجون منها قد اسودوا ، فيلقون فى نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة فى جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية " (١)

يقول ابن حجر " أراد البخارى بإيراده – أى لهذا الحديث – الرد على المرجئة لما فيه من بيان ضرر المعاصى مع الإيمان ، وعلى المعتزلة فى أن المعاصى موجبة للخلود فى النار .. فلا يلزم من إطلاق دخول النار التخليد فيها (٢)

يمنح الرب الرحيم رحمته ويتجاوز الغفور عن عبده ، وهم يصرون على المؤاخذه ..!! سبحانك هذا بهتان عظيم .

إن الأمر كله مرده لله رب العالمين يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء .. لا معقب لحكمه ولا راد لمشيئته وليس فيما يفعل ظلم أو حيف لأنه يتصرف فى ملكه ، وتصرفه فى ملكه ليس عبثا أو لغير حكمة ، بل هو عين الحكمة .

٥ – موقف المعتزلة من عذاب القبر ونعيمه :

يذكر الأشعرى " أن المعتزلة والخوارج نفوا عذاب القبر "(٣) كما أن القاضى عبد الجبار يذكر انقسام المعتزلة فى قضية عذاب القبر إلى منكر له ناف لحقيقته ومثبت ، ومن نفاته ومنكريه ضرار بن عمرو ، وهو من أتباع واصل بن عطاء ويورد – القاضى – حجة المنكرين

(١) الحديث رواه البخارى : ٢٩/١ : كتاب الإيمان .
(٢) فتح البارى : ١/ ٨٠ .
(٣) مقالات الإسلاميين : ١١٦/٢.

بقوله: إن الميت حين يدفن لا يسمع ولا يبصر ، ولا يدرك ولا يلتذ فكيف يجوز عليه المسألة والمعاقبة مع الموت ؟؟ ويقول: وأنكر مشايخنا عذاب القبر فى كل حال " (١) .

وهذا كبقية آرائهم يخالف صريح القرآن وصحيح السنة .. يقول جل ذكره فى شان آل فرعون : "النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ" (٢) استدل العلماء بالاية الكريمة على ثبوت عذاب القبر .. والاحاديث فى هذا كثيرة .

وقد ترجم الإمام البخارى فى صحيحه فى كتاب الجنائز "باب الجنائز " باب ما جاء فى عذاب القبر (٣) ، وساق – رحمه الله – عدة احاديث منها :

أن رسول الله (ﷺ) مر بقبرين يعذبان فقال " إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير ، أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله " .

وحديث أنس بن مالك أن رسول الله (ﷺ) قال " إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه ، وإنه ليسمع قرع نعالهم يأتيه ملكان فيقعدانه .. الحديث وحديث القبر روضه من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار فكيف ينكرون ما صح الدليل به .

---

(١) انظر فضل الاعتزال : ٢٠٢ .

(٢) سورة غافر : اية رقم ٤٦ .

(٣) راجع صحيح البخارى : ٤٢٧/٣ .

" الأسباب التى قادتهم إلى الاضمحلال الفكرى "

من خلال العرض السابق لموقف المعتزلة من القضايا المذكورة نجد التخبط الفكرى عندهم .. وهناك عدة أسباب أوقعتهم فى هذا ويمكن إجازها فيما يلى :

أولاً : البعد عن التطبيق العملى للإيمان :

نادى المعتزلة بالعمل وجعلوا العمل شرطا لصحة الإيمان .. وبالغوا فى الوعيد لمن خالف .. لكن هناك من تحافى عن هذا من زعمائهم ومال عنه بل بلغ الأمر إلى درجة الاستهزاء والسخرية من بعض الشعائر .

يؤثر عن النظام – كما ذكر البغدادى – أنه يرى أن الطهارة غير واجبة معللا ما يراه بقوله " إن غيره لو طهره مع كونه صحيحا أجزأه" (١)

وينسب إليه ابن قتيبة قوله :

مازلت اخذ روح الزق فى لطف

وأستبيح دما من غير مجروح

حتى انثنيت ولى روحان فى جسدى

والزق مطرح جسم بلا روح

فقد كان لير من التراب ويهزى (٢)

---

(١) الفرق بين الفرق : ١٩٧ .

(٢) تأويل مختلف الحديث : ١٨ .

والجبائى كان يغالى فى الوعيد لدرجة رفض قبول المقلع عن الذنوب بعد العجز عن اقترافها .. كان مصرا على شرب الخمر ، حتى قيل : إنه مات فى سكره (١)

ومن النوادر ما ذكره الجاحظ للدلالة على استهانتهم بالشرع وضحالة فكرهم وانغماسهم فى متعهم الجسدية ورغباتهم الجامحة .

رأى الخليفة المأمون يوما ثمامة بن أشرس – أحد رؤسائهم – سكراناً قد وقع فى الطين فقال له المأمون " ثمامة " ؟

قال له : أى والله .. قال له الا تستحى ؟ قال : لا والله .. قال – المأمون – عليك لعنة الله .. قال : ترى ثم ترى .. (٢)

هكذا بلا خجل ولا حياء .

ثانيا : شيوع الخلاف بينهم :

يرجع الاختلاف بين المعتزلة إلى تنوع المصادر واختلافها ، وكذلك التعويل المطلق على العقل الذى اعتبروه الأساس فى المعرفة ، وجعلوه رائدهم حتى بلغ بهم أن قدموه على الكتاب والسنة .. ومعلوم من الواقع أن العقول كثيرا ما تختلف .. فالإنسان يرى أمرا صوابا وفى الغد يستبين خطأه لكن الخطورة فى اختلاف المعتزلة فيما بينهم أن هذا الاختلاف دخل فى قضايا عقدية ما كان يجب ولوجها .

ويصور هذاالاختلال الأشعرى وابن قتيبة فيقولان : وقد كان يجب مع ما يدعونه من معرفة القياس وإعداد آلات النظر الا يختلفوا كما لا يختلف الحسّاب والمسّاح والمهندسون ، لأن التهم لا تدل إلا على عدد وإلا على شكل واحد ، وكما لا يختلف حذاق الأطباء فى الماء ونبض العروق ..

---

(١) الفرق بين الفرق : ١٩١ .

(٢) البغدادى : الفرق : ١٧٣ .

فما بالهم أكثر أهل الناس اختلافا لا يجتمع اثنان من رؤسائهم على أمر واحد فى الدين (١)

فأبو الهذيل العلاف يخالف النظام . والنجار يخالفهما ،وهشام بن الحكم يخالفهم ، وكذلك ثمامة وهاشم الاوقص .. ليس منهم واحد إلا وله مذهب فى الدين يدان برايه وله عليه تبع (٢)

وشذ وندر أن نجد قضية لا تختلف فيها أفهامهم وتتعدد اراؤهم فكلمة الاختلاف غالبا تكون على رأس المسائل والاقضية التى يبحثونها " اختلف المعتزلة " وربما بلغ الاختلاف إلى حد النفرة والاتهام .. فاصبح اتهام بعضهم بعضا بالكفر أمرا عاديا .. وأكثر زعمائهم يكفرون أتباعهم المقلدين لهم (٣) .

ومؤلفاتهم خير شاهد ودليل على حالة التردى فى الاختلاف فبشر بن المعتمر كتب كتابا سماه " الرد على ضرار " .. وبشر يكفره تلميذه عيسى بن صبيح – راهب المعتزلة – ويكفر معه أبا الهذيل العلاف والنظام وعددا من شيوخه .. وبادله هؤلاء تكفيرا بتكفير .

وكتب ابن الراوندى الذى هجر القوم ونكص عن الاعتزال بعد أن كان من متكلمى المعتزلة كتابا أسماه " فضيحة المعتزلة " نقضه أبو الحسين بن الخياط بكتاب اسماه " الانتصار رد فية على ابن الروندى ممن ينسب إلى الزندقه وله فى النبوة كفريات كثيرة رد عليها الخياط فى الانتصار .

وهكذا ظل القوم ينقض كل منهم الآخر ويأخذ منه موقف العداء والمخالفة .

---

(١) تاويل مختلف الحديث : ١٤، ١٥ – مقالات الإسلاميين : ٢/ ٣٢٢ .

(٢) المصدر السابق : نفس الموضع .

(٣) انظر الفرق بين الفر : ١٩٧ – ٢ المصدر السابق .

ثالثا : منافاة آرائهم للحق وتأثرهم بالفلسفة القديمة : -

إن تأثر المعتزلة بالمذاهب والافكار الدينية والفلسفة القديمة .. أدى بهم إلى الجهر بكثير من الآراء التى تتنافى مع العقيدة وهذا التأثر لدى الكثير من رجالهم – قادهم إلى نفى القدر فأطلق عليهم القدرية .. وإلى نفى الصفات فأطلق عليهم النفاة .. ونفى رؤية الله ، والقول بأن القرآن مخلوق وتأثرهم بهذه الفلسفة والمذاهب جعلهم يعلنون فى جرأة عجيبة تقديم العقل القاصر فى إدراكه لكُنْه الأشياء على النقل القطعى فى الدلالة والثبوت .. ومن هنا حكموا أهواءهم فردوا كل ما يتعارض مع فكرهم ومما زاد من بشاعة الأمر وضراوته استخدامهم العنف وسيلة لبسط آرائهم وفرضها على الناس .

بل وصل الأمر إلى التصفية الجسدية والاغتيال لمن خالفهم

" فعباد بن سليمان يرى قتل الغيلة فى مخالفيه ويقول : إذا كنا جماعة وكان الغالب عندنا أنا نكفى مخالفينا عقدنا للإمام ، ونهضنا فقتلنا السلطان وأزلناه، وأخذنا الناس بالانقياد لقولنا ، فإن دخلوا فى قولنا الذى هو التوحيد ، وفى قولنا فى القدر ، وإلا قتلناهم"(١)

وهذا يتنافى مع حرمة الإسلام للدماء والاموال والأعراض ، ففى الصحيحين يقول (ﷺ) إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا (٢) .

لعل ما ذكرته – فى تصورى – يعطى صورة واضحة عن الفكر الاعتزالى فهذه الإسباب وإن لم تكن إحصائية إلا أنها تعتبر من أهم

---

(١) الأشعرى : مقالات الإسلاميين : ٢/ ١٥٧ .

(٢) صحيح البخارى : كتاب العلم : ١٦٨/١ ، وصحيح مسلم : ٣/ ١٣٠٦ .

العوامل التى قادت الكثير من رجال المعتزلة إلى الإنحرافات الفكرية فى قضايا العقيدة ..

وقد قيض الله للأمة من يزود عن الدين ويرد سهام هؤلاء قديما وحديثا .. فرد عليهم أئمة فى الحديث كابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث وابن حجر فى فتح البارى والنووى فى شرحه لمسلم وغيرهم ..

كما رد عليهم علماء العقيدة .. فأبو الحسن الأشعرى عاش زمنا معهم على الاعتزال وما إن علم بحقيقتهم حتى تبرأ منهم .. وكشف أسراراهم ورد أباطيلهم فى كتابيه – الإبانه فى أصول الدين ، ومقالات الإسلاميين .. ومات – رحمه الله – وهو شديد البغض لهم .

والشهرستانى فى " الملل والنحل " وابن حزم فى "الفصل " .. وابن الجوزى والبغدادى .. وغيرهم هؤلاء كثير .

وأثمرت هذه الجهود المباركة عن كشف حقيقة المعتزلة ، وتحذير الأمة من خطر هذا الفكر المنحرف الذى يؤدى إلى الهلاك .

سئل قاضى القضاة أبو يوسف – صاحب الإمام أبى حنيفة – عن المعتزلة : قال : هم الزنادقة .

والإمام الشافعى لم يقبل شهادة المعتزلة وأهل الأهواء أسوة بمالك وفقهاء أهل المدينة (١) وهكذا صار أهل الاعتزال حتى وهم فى قمة مجدهم أيام رموزهم الشاذة دليلا على المروق والبعد عن الدين والشريعة .. الأمر الذى جعل أهل الحديث لا يقبلون روايتهم .. حتى من كان منهم على علم ترد روايته لأنه معتزلى صاحب بدعة . وهذا يدعونا إلى التساؤل ..

---

(١) ذكر هذا البغدادى فى : الفرق بين الفرق : ١٧١ .

هل هناك علاقة بين فكر المعتزلة وغيره من الفرق الضالة ؟

فهناك فرق أخرى نهجت نفس المنهج كالقدرية والجهمية ولذلك نجد من الباحثين من ينسب المعتزلة إليهما – القدرية والجهمية – فهم قدرية لأنهم ورثوا القول بنفى القدر عن القدرية .. وكذلك نسبة الأفعال للعبد بلا تأثير من الله .

وهم جهمية لأنهم ورثوا القول بنفى الصفات وخلق القرآن وإنكار رؤية الله تعالى يوم القيامة (١) عن الجهمية .

وربما لا تروقهم هذه التسمية لأنهم يرون أن مثبتى القدر أولى وأحق بهذه التسمية ، حتى ذكروا عن بشر بن المعتمر قوله : ننفيهم عنا ولسنا منهم ولا هم منا ولا نرضاهم .

---

(١) انظر : أدب المعتزلة : ١٣٢ .

الخاتمة

الصفحات السابقة كانت بمثابة تسليط الضوء على فرقة كان لها دورها فى الفكر الإسلامى بصفة عامة .

وإذا كان ما ذكرناه يعطى صورة واضحة لفكر المعتزلة فى كثير من القضايا فيمكن القول : أن المعتزلة فى بدايات الظهور والانتشار كان هدفهم الدفاع عن الإسلام بما يملكون من مقدرة عقلية على المحاجة والمحاورة إلا أن النهاية أودت بهم إلى درك التعصب المذهبى .. وظهر تعصبهم جليا فى مواقفهم من قضايا العقيدة وتفلسفهم فى التاويل وتطويع النصوص لغرضهم انتصارا لمذهبهم .

لكن .. كان منهم من له قدم راسخة فى العلم والعبادة .. يذكر القاضى عبد الجبار " أن عمرو ابن عبيد قال عنه الحسن البصرى هو خير فتيان أهل البصرة ، وله فضائل كثيرة .. يقال إنه حج أربعين سنة ماشيا ، وبعيره يقاد معه يركبه الفقير ، والمنقطع به ، وكان يحيى الليل كله فعل ذلك غير مرة فى المسجد الحرام .

وهو الذى اتهم عبد الكريم بن أبى العوجاء بالزندقة والإلحاد وإفساد الشباب ودعاه إلى مغادرة البصرة فقال له : بلغنى أنك تخلو بالحدث – أى صغير السن – من أحداثنا فتفسده وتستزله وتدخله فى دينك .. يعنى الزندقة – فإن خرجت من مصرنا وإلا قمت فيك مقاما أتى فيه على نفسك (١) يعنى يقتله لأفعاله القبيحة .

ومبدؤهم فى الأمر بالمعروف والنهىعن المنكر جعل البعض منهم ينشق عن الإمام الظالم ويخرج عليه ويقاومه . كما فعل عمرو بن عبيد حيث حث أصحابه على الوقوف مع يزيد بن الوليد ابن عبد الملك

---

(١) فضل الاعتزال : ١١٥ – ١١٧ .

الذى أراد تخليص الخلافة ونزعها من براثن ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، الذى كان ملحداً مارقاً .. وله من الشعر ما يتغنى فيه بمروقه .. حتى إنه رمى المصحف الشريف – وجعله غرضا .. وخرجت عليه الغيلانيه وقتلوه (١)

ومما يذكر لهم أنهم بذلوا الكثير من الجهد فى سبيل نشر دعوتهم فتفرقوا فى الامصار . شرقا وغربا – داعين لمذهبهم محاولين إقناع الناس به .

وشارك فى هذا أعلامهم فجابوا البلاد ، وعقدوا حلقات للدروس وناقشوا من خالفهم .. وجادلوا عن الإسلام ضد الملحدين المعاندين وردوا شبه الخوارج والمرجئة (٢)

ومن طرقهم التى استعملوها فى نشر افكارهم طرق الفلاسفة.. واستطاعو أن يوظفوا سلاح الجدل والمناظرة للرد على خصومهم وإقناعهم .

* هذه لمحات حول فكر المعتزلة فى أهم وأخطر القضايا العقدية، والتى مازال البعض من معاصرينا يلهث وراءها ويرددها عن قناعة ، بدعوى التحرر العقلى وإطلاق الحرية الفكرية المزعومة .

أرجو أن أكون قد وفقت فى عرضها .. والله حسبنا ونعم الوكيل ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

د / أحمد عبد الله الطيار

---

(١) انظر فضل الاعتزال : ١١٧

(٢) المصدر السابق

المراجع

١- القران الكريم

٢- كتب الحديث :

٣- صحيح الإمام البخارى .

٤- صحيح الإمام مسلم .

٥- فتح البارى : لابن حجر العسقلانى ، ط : الحلبى ، ١٣٧٨

٦- أدب المعتزلة : د / عبد الحليم بليغ ، ط : الرسالة ، ١٩٦٩ .

٧- تاويل مختلف الحديث : ابن قتيبة ، دار الجيل : ١٣٩٣ – ١٨٧٣ .

٨- جامع بيان العلم وفضله : ابن عبد البر : المكتبة السلفية

٩- الفرق بين الفرق : عبد القاهر البغدادى :- ط : المدنى

١٠- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة : أبو القاسم البلخى ، القاضى عبد الجبار ، ١٣٩٣ – ١٩٧٣ .

١١- الكشاف : الزمخشرى – ط : الحلبى ، ١٣٨٥ ، ١٩٦٥ .

١٢- المعتزلة : زهدى جار الله

١٣- مقدمة ابن خلدون – ط : بيروت ، ١٣٦٧ – ١٩٤٧

١٤- مقالات الإسلاميين : أبو الحسن الأشعرى – مكتبة النهضة ، ١٣٨٩ – ١٩٦٩

١٥- الملل والنحل : للشهرستانى – ط : الحلبى ، ١٣٨٧ – ١٩٦٧

١٦- منهاج السنة النبوية : ابن تيمية

١٧- اليهود واليهودية : على عبد الواحد وافى – مكتبة غريب ، ١٩٧٠

١٨- التنبية والرد : أبو الحسن الملطى – مكتبة المثنى ، ١٩٦٨

١٩- شرح الأصول الخمسة ، القاضى عبد الجبار – مكتبة وهبة ، ١٩٥٦

٢٠- الانتصار : الخياط – ط : القاهرة ، ١٩٢٦ .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥٨٧
نشأة المعتزلة	٥٩٠
أصول المعتزلة	٥٩٩
* أصل التوحيد	٦٠٤
من صور الانحراف	٦٠٦
المعتزلة وقضية خلق القرآن	٦١٠
* اصل العدل	٦١٢
نفى القدر	٦١٣
قولهم بالصلاح والاصلح	٦١٦
الحسن والقبح العقليان	٦١٨
* أصل الوعد والوعيد	٦١٨
* أصل الأمر بالمعروف والنبهى عن المنكر	٦١٩
أضواء على موقفهم من السنة النبوية	٦٢٣
موقف المعتزلة من الصحابة	٦٢٥
موقف المعتزلة من الحديث	٦٢٧
تشكيك المعتزلة فى السنة	٦٢٩
موقفهم من أحاديث الشفاعة	٦٢٩
موقفهم من معجزات الرسول	٦٣٢
موقفهم من رؤية الله يوم القيامة	٦٣٦
موقفهم من مرتكبى الكبيرة	٦٤٠
موقف المعتزلة من عذاب القبر ونعيمه	٦٤٣
الاسباب التى قادتهم الى الاضمحلال الفكرى	٦٤٥

البعد عن التطبيق العملى للإيمان	٦٤٥
شيوع الخلاف بينهم	٦٤٦
منافاة آرائهم للحق وتأثرهم بالفلسفة القديمة	٦٤٨
الخاتمة	٦٥١
المراجع	٦٥٣